«بيوت الأفنية» المغربية:

تناغم ابداعي بين الوظائف والجماليات

د. وليد أحمد السيد *

■ يطالع الزائر المتجول في الأحياء التراثية في مدن المغرب العربي التقليدية واجهات صماء صلدة للشوارع المتعرجة، التي يقال أنه تم تخطيطها بهذه الطريقة لاعتبارات مناخية تتعلق بتوفير كمية أكبر من الظل في تلك البيئات الحارة. وفضلا عن ذلك فلها ميزات أخرى في توفير بعض الخصوصية لداخل البيوت التي غالبا ما تقود الزائر عبر دهاليز متعرجة مكونة ما يعرف (بالمدخل المنكسر) والذي اشتهر في البيوت العربية التقليدية بعامة من الخليج العربي والجزيرة العربية وحتى مدن شمال إفريقيا ومنها المغرب العربي (تونس والجزائر ودولة المغرب). وتثير هذه الواجهات الصماء لشوارع المدن التقليدية في المغرب العربي فضول الزائرين والرحالة والأغراب ممن يطالع هذه البيئة التخطيطية الفريدة والمغايرة تماما لفكرة البيت الأوروبي. ففي الغالب تشي واجهة البيت الأوروبي الخارجية بمضمون البيت من الداخل، بل ويمكن للناظر الحصيف في البيت الأوروبي أن يحدد أماكن الأحيزة الفراغية المعيشية المختلفة بالتمعن في حجم النوافذ المطلة ونوعها ومواقعها. وعلى العكس من هذه الطبيعة الانفتاحية على الخارج احتفظ العربي بالخصوصية العالية التي يتمتع بها بيته ابتداء من علاقته مع الخارج (الشارع)، مرورا بالتفاف البيت حول فناء وسطي يعتبر بمثابة الرئة والمتنفس للبيت كله، وانتهاء بإطلالة البيت بطابقيه الأرضي والأول على الفناء الداخلي كمعلم رئيس من معالم ثقافة الخصوصية للبيت والتمييز بين عالمي العام والخاص وكعقيدة أساسية من عقائد النظام الاجتماعي بها، حيث تتباين وتتمايز فيها خصوصيات التقسيمات للجنسين.

استمع إلى شيخ المعماريين العرب حسن فتحي في بيته في القاهرة وهو يخاطبني وثلاثة من زملائي في العام 1988 ويقول:»للبيت العربي ميزة عالية من الخصوصية تبدأ من عتبة البيت الخارجية وتتدرج حتى غرف النوم المنعزلة مما يحدد بوضوح مجالات العالم والخاص وخاص الخاص. أما البيت الإيطالي، مثلا، فبمجرد دخولك من عتبة البيت الخارجية يمكنك أن تكشف من داخل البيت الشيء الكثير».

هذا الغموض الذي اكتنف البيت العربي والمغربي كان مثيرا ومتحديا للرحالة والمستشرقين في آن واحد. ورغم الصمت الذي كان يرن في فضاء الشارع الخارجي والحارات والدروب المنحنية والملتوية، والتي كانت، وعلى الفور، تفضح وجود الأغراب عن الحي – فضلا عن انحناءاتها التي ما كانت لتسمح بالتسكع أو التلكؤ في محيط مداخل افنيتها لمن ليس له شأن – فقد كانت هناك بعض الرموز التي كان يمكن قراءتها في خضم هذا المحيط من الصمت الدامس الرهيب الذي تضيفه الجدران الخارجية للبيت والتي خلت من النوافذ الخارجية المطلة على الحيز العام مما يمكن أن يهدد خصوصية القاطنين سمعيا وبصريا. ويستثنى من ذلك أحيانا مشربية خشبية تطل بحياء وعلياء من الدور العلوي على الطريق بما لا يمكن حتى من يركب الجمل أن يسترق النظر إلى مكنونات البيت ويعكر صفو قدسية خصوصيته الاجتماعية. والبيوت الصامتة المنكفئة على داخلها كانت بها دلالات يبثها تصميم المدخل الخارجي وبالتحديد النقوش التي فوق المدخل مما يفضح مقدار ثراء صاحب البيت أو هو دلالة مقصودة عليه. وإن كان المالك من كبار الأثرياء فغالبا ما تجد حارسا يقبع في (غرفة صغيرة) بها (دكة) خشبية يجلس عليها ضمن المدخل لمراقبة الشارع ورعاية العلاقة بين الشارع وبين المدخل المنكسر للبيت. وقد ندرت كتابات المستشرقين من وصف معالم البيوت العربية التقليدية وصفا دقيقا يشي بمعالم الحياة الاجتماعية، وذلك لندرة الفرص في دخول هذه البيوت. والقلة القليلة من هؤلاء المستشرقين ممن حالفه الحظ، تمكن من دخول بيوت كبار الأثرياء من التجار والأمراء والسلاطين، وهذه لم تعكس عموم البيت العربي التقليدي إنما كانت خاصة جدا وعكست أنماطا اجتماعية كان بعضها ينافي عموم الحياة الاجتماعية في الإسلام في الفترات التي وصفتها وبخاصة في بيوت مدن شمال إفريقيا. ومن هنا فعدا عن غموض البيت العربي في شمال إفريقيا من ناحية معمارية وتخطيطه للأغراب ظلت طبيعة الحياة الاجتماعية سرا خاصا مكنونا بداخلها لم تستطع أعين الفضلاء من البحاثة والدارسين وبخاصة المستشرقين أن تميط اللثام عنه بحق وبصدقية.

وحديثا صدرت الطبعة الأولى من كتاب قيم يبحث في البيوت المغربية ذات الأفنية هو كتاب (Villas & Courtyard Houses of Morocco) من إصدارات دار النشر العريقة (Thames & Hudson). والبيت التراثي المغربي يمكن تمييزه بجملة من الخصائص التي يشترك في إطارها العام مع العديد من البيوت العربية التقليدية في شمال افريقيا والجزيرة العربية، ومنها وأهمها على الإطلاق وأكثرها مركزية هو «الفناء»، والذي يعزو مؤرخو العمارة انتقاله للبيوت المغربية من خلال الهجرة الطبيعية والتجار القادمين من الشرق العربي. ويناقش الكتاب فكرة أساسية مفادها أن البيت التقليدي المغربي تأسست نواته بتخطيط موقع الفناء أولا ومن ثم نمت الأحيزة الفراغية تبعا لإحداثيات الحيز الفراغي للفناء وعلاقته المتميزة والمحدودة بالشارع والمحيط الخارجي. والأهم من ذلك أن بعض العناصر المعمارية تم تطويرها بعلاقتها بالفناء من جهة وبعلاقتها بحركة الشمس اليومية من جهة أخرى. وهذه الفكرة وآلية النمو الطبيعية في البيت المغربي ذي الفناء تندرج وتتناغم مع النظرية العامة في العمارة العربية التقليدية التي تشير «لمركزية» العناصر من حيث الأهمية. وتتدرج هذه المركزية، على مستويي العمارة والتخطيط، نزولا من التوجيه باتجاه القبلة والكعبة المشرفة كمركز للأرض، وحتى الزخارف والمشربيات في القاعة الداخلية للبيت وفسقية الماء التي تتوسط الأفنية. وقد ذاع استعمال الفناء المركزي تاريخيا في العمارة العربية التقليدية في الأبنية العامة كالمسافرخانة والوكالات كوكالة الغوري بالقاهرة، والمدارس أو الزوايا، مما سهل انتقال هذا النمط التخطيطي للأبنية الخاصة والمنازل في حوض البحر الأبيض المتوسط بعامة. ويعزو بعض الباحثين ظهور نمط صالة الاستقبال المرتفعة على طابقين والمسقوفة في بعض القصور الأوروبية للبيت العربي ذي الفناء الوسطي المكشوف، ولكن تمت تغطيته في العمائر الأوروبية لاعتبارات المناخ البارد بها، مما يعزز أهمية التأثيرات الثقافية عبر التجارة والهجرة مما يكرس التلاقحات الحضارية، ومن جملتها فنون العمارة، عبر الأقاليم والثقافات المتباينة.

هذا الكتاب حول البيوت التراثية المغربية يعرض نماذج بديعة من أنماط الفناء للبيت المغربي بعناصره الطبيعية من الماء والخضراء، وحيث تتداخل لمسات وإبداعات المعمار المسلم بين فنون الخشبيات، وأبرزها المشربيات الخشبية التي تعمل كمنظم بصري ومحدد مناخي، وبين فنون الجص والسيراميك والألوان البديعة التي تحفل بها الجداريات والمنمنمات الأرضية، مما يجعل البيت المغربي ذا الفناء، وبحق، آية من آيات السكن والراحة النفسية بعيدا عن ضوضاء الخارج أو تطفلات الرقباء. ويعرج الكتاب على وصف بصري لمجموعة من أبرز البيوت المغربية ذات الفناء مثل دار أحلام ودار القاضي، ويصف الحديقة الرائعة أو الفناء الأخضر الذي يتوسط منزل رياض لامراني، ويذوب القارئ بين ثنايا الكتاب الذي تنقل الصور الرائعة به جماليات الإبداع المعماري في تصميم الفناء الداخلي والذي يعكس توق الفنان المسلم لفكرة الجنة على الأرض. فالتناغم والتزاوج المتقن بين التشجير المعماري وعناصر الماء والفسقية مع تداخلات صوت خرير المياه والألوان البديعة للحجر والأعمال الخشبية داخل الفناء في البيت المغربي، والعربي بعامة، تخلب الألباب وتخلق جوا داخليا بديعا يلتحف زرقة السماء وكأنها قبة تغطي فناء البيت. ولا عجب ان أدار البيت ظهره للشارع وضوضائه ليعزف ألق الفناء الداخلي به ترنيمة الصفاء والسكون الناعم الشادي بإبداعات الفنان المسلم، فالعمارة وكما وصفها حسن فتحي، ومن قبله «دانتي»، إنما هي «موسيقى متجمدة».

وتتباين النقوشات الداخلية والمواد والأنماط الزخرفية لفناء البيت المغربي حسب موقعه الجغرافي في أقاليم المغرب، عدا عن التأثيرات الإجتماعية ومقدار الثراء والمنزلة الاجتماعية. ففي مناطق جبال أطلس يكون الفناء في البيت المغربي بسيطا للغاية ومتواضعا. وفي مراكش والقرى شمال منطقة الصحارى يستعمل الطين والجص عموما، أما مدينة فاس والتي تعد مركزا مرموقا يستقطب العلية والمثقفين والتجار فيستعمل الرخام والسيراميك والخشب الفاخر لرسم أنماط بديعة من الزخارف التي «تنحت» البيت من الداخل وتجعله آية من آيات الجمال. وعلى الرغم من اختلاف المواد المستعملة بين الحواضر والأقاليم المغربية التي تعكس تباينات الثراء تظل الأنماط الزخرفية المستعملة عصية على التمييز الفاضح، فجميعها تشترك في إظهار ثلاثة أنواع من الزخارف: هندسي ونباتي وفني نحتي يجسده الخط العربي. وهذه الفنون البديعة استقطبت أنظار الفنانين الغربيين والمستشرقين، وبالذات الفرنسيين، الذين حلموا بسكنى هذه البيوت البديعة وعدم الرحيل منها مطلقا. وبفضل البعثة الدبلوماسية الفرنسية عام 1832 للمغرب تمكن الرسام الرومانطيقي (Eugene Delacroix- 1798) (1863 من إعداد الكثير من الرسومات الملونة للبيوت المغربية وأفنيتها الخلابة، والتي انعكست على أعماله لاحقا وأثرت بها بشكل كبير، وفتحت الباب على مصراعيه أمام العديد من المستشرقين الذين هرعوا لمعاينة جمالها وترسيمها ومنهم (Edmondo De Amicis)، و(Gabriel Charmes)، و(Charles De Foucauld). ولم يقتصر الأمر على الفنانين بل تعداه للروائيين المستشرقين والقصاصين الفرنسيين أمثال (Pierre Loti (1850–1923 والذي هام بسحر هذه البيوت وزخارفها في مدينة فاس، بحيث ابتنى له بيتا على سواحل فرنسا يحاكي بيوت الأفنية المغربية التي شاهدها. أما القرن العشرون فشهد موجة أخرى لمشاهير من الفنانين والمستشرقين الفرنسيين ممن لم يخفوا افتتانهم بالتراث المعماري للبيت المغربي. فهناك (Andre Chevrillon) المؤرخ الروائي –1864 1957، والأديبان الأخوان (Jerome 1874 (Jean Tharaud–and 1953 و 1877–1952، والفنان الشهير (Henri Matisse) وكذلك (Raul Dufy). أما مصمم الأزياء (1879 (Paul Poiret–1944 فقد عمد إلى خلق تصميمات مستوحاة من الزخارف والأنماط التي شاهدها في النوافير التي توسطت أفنية البيوت التراثية المغربية التي زارها في مدينة فاس. أما (Jacques Majorelle) فقام بتصميم حديقة وسطية في بيت له ابتناه في مدينة مراكش مما يعكس درجة هيامه ببيوتها. وفضلا عن ذلك كان للطراز المغربي الذي اشتهرت به هذه البيوت التقليدية أبلغ التأثير في مصممي المجوهرات العالمين كنمط فني عالمي، حيث استلهمت كبار دور التصاميم العالمية بعضا من الأنماط الزخرفية التي حفلت بها البيوت المغربية في تصاميمهم ومن أبرزهم (Louis Cartier). هذا التقييم العالمي للقيمة الفنية والجمالية للبيوت التراثية المغربية وللطراز المغربي الذي اشتهر بصبغته الفنية العالية كان من أبرز المؤثرات في إحياء العديد من الحرف التقليدية واليدوية كالزليج والأعمال الخشبية والمعدنية والنحاسيات، وبحيث غدت المغرب من الدول الرائدة في مجال هذه الحرف التراثية. وبين الحين والآخر تطالعنا مآثر عمرانية فريدة ومعاصرة مما يوظف القيم الفنية للطراز المغربي المتميز خارج إطارها الإقليمي، كما هو الحال في فندق الميراج بدبي، وهو مما يعكس سحر وروعة الطراز المغربي الذي عكسته بيوت الأفنية فيها. وتظل الكلمات عاجزة عن وصف سحرها الذي فتن كل من زارها.

* معماري أكاديمي ومدير مركز دراسات العمارة الإسلامية بلندن
sayedw03@yahoo.co.uk

تداعيات

سَوَالْ تاعْرابتْ

هشام فهمي *

■ العربية تغيّرت، نَسيَتْ كيف كانت هائمة في الصحراء. تُحدِّث البُعران وتسرّح الخيول. العربية تُحتضر. أنت تخرّف انها لغة القرآن والمتنبي. لغة البيداء وتكسّر النصال على النصال. لغة اليرابيع المشوية ينتشها أعرابي بأسنانه. لغة آدم والحيّة. لغة الوسواس الخنّاس الذي يوسوس في صدور الناس. لغة الشهادة والذكر الحكيم. لغة كتاب سيبويه والبُردة والهمزية. لغة أبي جهل والرحمن. لغة المعجزة والطواف على الحجر الأسود. هي أيضا لغة أبي نواس والمعري. لغة الغلمان والخوارج. لغة ولّادة بنت المستكفي والروض العاطر. لغة الحلاج وثورة الزنج . لغة الملل والنحل ونشيد الانشاد. انها لغة حية والله حيّ فيها. العربية تتنفّس. هل تسمع أنفاسها؟ مع جبران والنهضويين. مع طه حسين والأفغاني. مع نزار قباني ومظفر النواب. مع الأفلام المكسيكية وبنات الرياض. مع محمد بنبراهيم ومحمد شكري. مع مجلة «شعر» ومجلة «العربي». مع اليسوعيين والترجمة.

هل تسمع زفيرها؟ مع عمرو خالد وحسن نصرالله. مع الملك عبد الله ومحمد السادس. مع التكنوكراط ومعلّمي القرى النائية. مع الأزهر وبن لادن الظواهري. مع الجهاد الالكتروني والجنة الرقمية.

لكن من يتكلّم العربية الآن؟ لا تعرف؟ طبعا يتكلمها 300 مليون عربي. آي عيني! العربية تتكلّمها الجرائد والقنوات الفضائية. أنت تخرّف. المصريون يتكلمون المصرية، واللبنانيون اللبنانية والسوريون السورية والمغاربة الفرنسية فمن يتكلّم العربية؟ يتكلّمها العرب في خطب الجُمع والمسلسلات الدينية وبرنامج «أمير الشعراء». أنت تهذر. افتح التلفزيون وستجد «شاعر المليون» يتحدث بلغة داحس والغبراء. والشاعرات يتدفّقن من الفحولة. هؤلاء تخلّفوا عن عصرهم بقرون. ينظرون الينا من الماضي كأرواح عائدة من الماوراء. تسمع أنين الموتى في قوافيهم. انه الشعر العربي الفصيح يقول المتفرّج. وأنت ماذا تقول؟ أنا لا أفهم. لا تفهم اللغة العربية؟ لا أفهم نفسي. قل لهم هذه ليست لغتكم. انها لغة أجدادكم تاهوا وهم يصنعونها حبة حبة من كلام الرمال. أين لغتكم أنتم؟

لغتنا خائفة من نفسها ومتوارية كحيوان جريح. كيف؟ لا يقربها إلّا المطّهرون. نحن خائفون منها؟ لماذا؟ لأنها سجلّ ذنوبنا وكتابنا الأخير الذي لن نكتب بعده. هي علامات الساعة والنفخ في الصّور. هي فوقنا جميعا وقديمة. قديمة كأرواحنا المعطّلة. تكلّمها الجنّ وعزرائيل. تكلّمها الفرس والاتراك والأحباش والأكراد والامازيغ وأقوام كثيرة. تهجّوا تاريخها بقوة السيف والقرطاس. رفعوها الى المجد فأصبحت تجلدهم. اللغة التي يحدد مصيرها العقديون ماذا يكون مصيرها؟ أنا أسأل وأنت تجيب. ستصبح مثل اللاتينية يدرسها القساوسة في مكتبات الفاتيكان . تقول زوجتي الأمازيغية : سَوال تاعْرابت «(1) أجيبها: «سَوال تشلحيت». العربية ليست أحسن حالا من الأمازيغية، لغة المغاربة الأوائل.

كيف فقد المغاربة لغتهم الأولى؟ العربية تعرف. سيسألها الشعراء يوما.

* شاعر من المغرب يقيم في كندا
Hicham_fahmi@hotmail.com

1) تعني بالأمازيغية تكلّم العربية

الرحلة المشرقية

محمد علي اليوسفي *

■ عدت أخيرا محملا بمحبة الأصدقاء في كل من الأردن وسورية بعد المشاركة في أنشطة معرضي الكتاب هناك. كما عدت بعقود جديدة من بيروت ومصر، وبحصيلة من النتاجات الجديدة تمثلتْ في صدور كتب جديدة وإعادة طبع كتب قديمة، لا سيما في مجال الترجمة. وهاهي ذي القائمة:

- مجموعة شعرية جديدة بعنوان «ليل الأحفاد» عن الهيئة العامة السورية للكتاب. وتضم القصائد التي كتبتها بين قبرص وتونس أيام العذابات المشتركة. وكان قد نشر قسم منها في مجلة الكرمل، آنذاك. ويذكر أن مجموعة « ليل الأحفاد» تأتي بعد سابقتها «ليل الأجداد» التي صدرت في دمشق أيضا، في العام 2000.

- مختارات من الأعمال الكاملة للكاتب الفرنسي الروماني الأصل؛ إميل ميشال سيوران، بعنوان «لو كان آدم سعيدًا» والعنوان مأخوذ من إحدى شذراته التي يقول فيها: «لو كان آدم سعيدًا في الحب لوفّر علينا التاريخ» وقد صدرت في عمّان عن دار أزمنة التي يديرها الروائي المتألق إلياس فركوح.

- وعن الدار نفسها صدرت ترجمتي لمختارات من شعر أوكتافيو باث بعنوان «كنتُ شجرة وتكلّمتُ بستان حروف» على لسان أوكتافيو باث طبعا. والمختارات تضم القصائد «الشرقية» التي كتبها الشاعر أثناء إقامته في الهند وأفغانستان ممثلا دبلوماسيا لبلاده.

- كتاب نظرية الدين للكاتب الفرنسي جورج باتاي وقد صدرت ترجمته عن دار معد في دمشق.

إعادة طبع الروايات التالية: «حكاية بحار غريق» لماركيز، «نارايما» لليابابي شيشيرو فوكازاوا، «مملكة هذا العالم» للروائي الكوبي أليخو كاربنتييه. و»البابا الأخضر» للروائي الغواتيمالي أستورياس. وقد صدرت العناوين الأربعة السابقة عن دار ورد في دمشق.

ويذكر أن دار التنوير(المقبورة سابقا والتي ورثتها المطبعة عبر المحكمة بعد هروب صاحبها بديونه) أعادت في بيروت طباعة كتبي التالية: «بدايات فلسفة التاريخ البورجوازية» لماكس هوركهايمر، و» نارايما» المذكورة سابقا، وكذلك «البابا الأخضر».

قبل ذلك أعادت دار المدى العراقية طبع ترجمتي لرواية غابرييل غارسيا ماركيز «خريف البطريرك» وهي الآن تستعد للطبعة الرابعة للرواية التي كان صدورها الأول في بيروت في بداية الثمانينات وتجاوزت العشر طبعات إلى أن أقفلت الدار وتوفي صاحبها.

* شاعر وكاتب ومترجم من تونس

رسام الكاريكاتير حسام وهب:

تجربة «الدومري» محطة مهمة في تاريخ الصحافة السورية...

اجرى الحوار: بسام الطعان

رسام سوري، رسام لقصص الأطفال والقصص المصورة ، رسام بورتريه في مجلة فنون السورية، رسام كاريكاتير في كل من مجلة فنون، ملحق جريدة الثورة الثقافي، جريدة آفاق، إضافة إلى نشر متفرق في عدة مطبوعات سورية وعربية، رسام ومخرج للرسوم المتحركة، شارك بعدة معارض ومسابقات دولية.

■ حسام وهب، معروف من قبل الكثيرين، وربما هناك من لم يعرفه بعد، لهؤلاء كيف يقدم نفسه، ماذا يقول بإيجاز؟

■ أنا فنان تشكيلي سوري خريج كلية الفنون الجميلة بدمشق عام 1993 رسام كاريكاتير سوري أعمل على أكثر من خط: الأول هو الوجوه الكاريكاتورية (البورتريه) والثاني الكاريكاتير الذي يحمل سمة الموضوع- اجتماعياً أو سياسياً أو ثقافياً- إضافة إلى رسوم الأطفال والرسوم المتحركة كمصمم ومخرج..

■ ما جدوى الكاريكاتير في عالمنا العربي المعاصر؟

■ هذا السؤال يحمل الإجابة التي تخص كل الأسئلة المشابهة فجدواه المباشرة هي عرض فكرة الرسام حول هم أو موضوع أو مسألة يقدمها بشكل فكاهي ساخر قريب إلى قلوب الناس وجدواه غير المباشرة تشبه جدوى أي فعل إنساني إبداعي مثل التشكيل أو الغناء أو الأدب.....

■ هل رسام الكاريكاتير يتميز عن غيره من الناس؟

■ الإختلاف في اعتقادي يكمن أولاً في حس فكاهة عال وثانياً في كيفية تلقيه للأحداث والقضايا التي تدور في محيطه وكيفية صنعه بالتالي للمعة أو الطرفة وتحويلها إلى رسم...أي هو شخص قادر على التقاط تفصيل لا يلاحظه الآخرون ويحوله إلى مفارقة كاريكاتورية..

■ هذا الفن الصعب والجميل، هل سبب لك متاعب ومشكلات؟

■ نادراً ربما لأنني لا أعمل في وسائل إعلام عربية تماماً وفي بلادنا العربية كلها وبدون استثناء كمية من الخطوط الحمراء لا يسمح بتجاوزها.. لذلك نادراً ما يتم نشر رسم أو موضوع دون تمحيصه والتأكد من عدم إثارته لحفيظة أحد وكثرة هذه الفلترة (التنقية) جعلتني أحس بأن كاريكاتيراتنا وصحافتنا العربية عموما هي صحافة(دايت) ...

■ مَنْ من رسامي الكاريكاتير العرب يستحق لقب شيخ الرسامين في هذا المجال؟

■ في سورية لدينا من المبتعدين عن الساحة حالياً الأستاذ ممتاز البحرة ومن العاملين الفاعلين على مستوى الساحة العربية بقوة الأستاذ علي فرزات و من مصر الأستاذ جورج البهجوري ومن ليبيا الأستاذ محمد الزواوي..

■ ما هو موقع فن الكاريكاتير بين الفنون (التشكيلية) الأخرى؟

■ هو الجسر بين الفن التشكيلي والصحافة ...

■ هل يعتبر الكومبيوتر عاملاً من عوامل تطور الكاريكاتير؟

■ الكومبيوتر من وجهة نظري هو أداة تقنية مثلها مثل قلم الرصاص أو الريشة.. لذلك فهو يساعد في تسهيل التنفيذ وتسريعه ولكن تبقى المقدرة على الرسم والقدرة على ابتكار الفكرة هي الأساس.

■ الشارع، الكتب، الصحف والمجلات.. مَنْ أكثرمَنْ يمدك بمواضيع لوحاتك؟

■ الشارع أولاً أو المحيط بمعناه الأوسع.. ثم تأتي العوامل الأخرى..

■ هل على رسام الكاريكاتير أن يلتزم بقضايا الجماهير وأن يكون أمينا عليها؟

■ طالما هو من الجماهير فهو ملتزم بقضاياها بشكل طبيعي.. وإذا ابتعد فسيصبح من الصعب عليه خلق أفكار تهم الناس وتتوجه إليهم..

■ ما هي اللوحة التي لم تتمكن من رسمها، وما الذي منعك؟

■ الكثير من المواضيع التي قد تسبب إشكالاً دينياً أو اجتماعياً أو سياسياً.. فنحن أكثر ما يميزنا كعرب هو توفر الشرطي الداخلي في قلب كل فرد منا..

■ كيف هي علاقتك مع رسامي الكاريكاتير السوريين، هل بينك وبينهم أي تنسيق، عمل مشترك؟

■ علاقتي جيدة بمعظمهم اجتماعياً ومهنياً وأغلبهم ومنهم أصدقاء...فالكاريكاتير مثله مثل كل المهن العاملون فيه زملاء وأصدقاء رغم ما يشوبها أحياناً من حساسيات المهنة.. والعمل المشترك حاضر دائماً فمنذ أيام فقط كنت مشاركاً في معرض جماعي مع عدد من الزملاء والأساتذة..

■ ما رأيك بتجربة جريدة «الدومري» التي أنشأها علي فرزات؟

■ التجربة هي محطة في تاريخ الصحافة السورية عموماً والساخرة خصوصاً.. وأهميتها تكمن في أنها أتت مقياساً دقيقاً لكمية الحرية التي يمكن الحصول عليها في البلد ومدى قدرة المبدعين السوريين على رصد هموم الناس وآمالهم عبر هذا النوع من الإبداع رسماً أو كتابة.. لذلك ستبقى هذه الجريدة ماثلة في ذاكرة الجميع رغم توقفها حتى يتحقق الأمل بصدور صحف ومجلات بنفس المستوى، أو أعلى، تفسح المجال أمام إطلاق صحافة ترقى إلى مستوى يليق بنا وبإنساننا وحضارتنا..

■ هل تبحث عن اللوحة في كل مكان أم تنتظرها؟

■ البحث دائم ومستمر حتى أثناء نومي ولكن أقوى الأفكار هي التي تحضر فجأة وكأن شيطان الشعر يلقي بها أمامي كفكرة ذات جرعة أعلى من دون سابق إنذار والمهم في هذه الحالة هو تسجيل الفكرة مباشرة . وكما قلت سابقاً رسام الكاريكاتير يبحث في الموجود حوله عن شيء لا يلاحظه الآخرون وعن مفارقة لا يميزونها بسهولة..

■ رسام الكاريكاتير السوري هل أخذ حقه كما يجب؟

■ في معظم الحالات لا أعتقد .. لأن المقابل المادي ضئيل جداً مقارنة بالجهد المبذول بالأسعار المتداولة في الدول المحيطة.. وعلى المستوى المعنوي ما زال الكثيرون من رؤساء التحرير وحتى الصحافيين ينظرون إليه كعامل تزييني لمقالاتهم وليس نمطاً إبداعياً مستقلاً بل برأيي أحياناً يستطيع رسم كاريكاتوري تلخيص مقالات عديدة وإعطاء الفكرة بسرعة أكبر بكثير من عدد ضخم من الكلمات .. لأن الإنسان بفطرته يميل إلى الصورة...

■ ماذا ينقص هذا الرسام لكي يستطيع أن يبدع أكثر؟

■ قليل من الحرية... قليل من التقدير والاهتمام.. قليل من المال..

حسام وهب (القدس العربي)